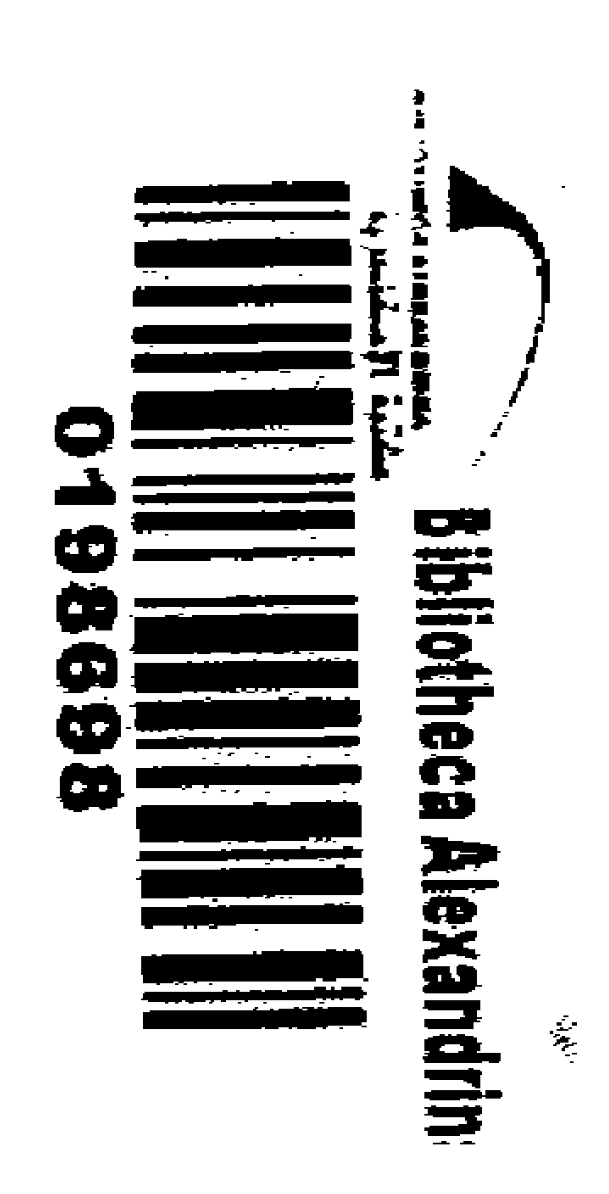
العلاقات المغربية الإيرانية عبر التاريخ

عن كتاب:

التاريخ الدبلوماسي للمغرب

للدكتور: عبد الهادي التازي



اهداءات متنوعة

DIFFERENT GIFTS

العلاقات المغربية الإيرانية عبر التاريخ

عن كتاب :
التاريخ الدبلوماسي للمغرب
للدكتور : عبد الهادي التازي

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقات المغربية الإيرانية

للدكتور: عبد الهادي التازي

لعل أطول البلاد حياة في ظل الاستقلال الوارف هي بلاد المغرب الاقصى، فهي ما عرفت قط هيمنة ولا سيطرة خارجية الا في ظروف شاذة وجد قصيرة. ولذلك فان ما يتوفر عليه تاريخ هذه البلاد من ذخائر وكنوز لا يمكن أن يقدر بثمن، وانه بمقدار ما تتقدم دراساتنا للمغرب وبمقدار ما تتعمق، نشعر بأننا حقا أمام حصن منيع ظل طيلة هذه الحقب من التاريخ مضرب المثل للامم سواء منها القريب والبعيد.

وان العناية بناحية العلاقات بين المغرب وغيره من الدول ـ تأثرا أو تأثيرا ـ تبرز وحدها مدى ماكان ينعم به المغرب من سمعة، وما كان يحظى به من مركز مرموق لدى الحاكمين والشعوب في كل جهات المعمور.

وقد تميزت بلادنا بأنها ـ رغم بعدها ـ تفاعلت مع سائر الحضارات، وواكبت سائر التيارات التي عرفت في الجهات النائية عنا، وكان الفضل في ذلك يرجع الى حرص المغاربة على المعرفة والاطلاع، واقبالهم على الناس، وتهافتهم على العلماء والعظماء هنا وهناك. فلتلك «السفارات» المتوالية، السامية في هدفها، الهادفة في قصدها، يرجع كثير الفضل في تحدثنا اليوم عن علاقاتنا بالناس، وعن علاقات الناس بنا، عن علاقاتنا باليونان والروم وفارس على حد تعبير

المصطلح القديم او بالقارات الخمس كما يقول التقسيم الحديث .. والا لكانت لقاءاتنا ضربا من الاتصال العابر الذى لا ريح له ولا روح.

نقود من همذان بالمغرب !

ترجع علاقات المغرب ببلاد ايران الى فجر التاريخ، منذ الأيام التي أشع فيها نور الاسلام على الشرق، وهكذا فقد احتضن المغرب كمعقل قوى للاسلام طائفة من الذين قصدوه أداء للرسالة المقدسة التي حملها اياهم رسول الله ... ولعل من الطريف في هذا الباب أن نعرف أن متاحفنا المغربية تحتوى على نقود فيها ما ضرب بسيجستان، وفيها ما ضرب بالاهواز وكرمان ... وان أقدم ماعثر عليه في الحفريات الى الآن هو درهم ضرب في همذان سنة أربع وثمانين للهجرة (703 — 704 م) وقد كتب على دائرة هذا الدرهم : «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» بينما كتب في وسطه الآية الشريفة : «الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد» وقد نقش على صفحته الثانية : «بسم الله، ضرب هذا الدرهم بهمذان في سنة أربع وثمانين».

المغرب والامارة الرستمية

وقد غدا تاريخ الفاطميين عندنا مادة أساسية لكل الذين يهتمون بالتاريخ المغربي منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادي)، ونحن اذا أردنا أن نتحدث عن هؤلاء لابد أن يكون علينا أن نتحدث قبلهم عن الامارة الرستمية التي تنسب الى رستم بن بهرام، الفارسي الأصل، ففي أعقاب هذه الامارة بويع لعبيد الله المهدى، أول الخلفاء الفاطميين. وقد ورد قوادهم الى المغرب حاملين الدعوة الشيعية

الجعفرية مظهرين أسرارها الباطنية الفاطمية ... وقد كانت دولة الرستميين في (تاهرت) الدرع الحصين الذى حمى دولة الادارسة الناشئة على ماقلناه عند الحديث عن علاقات الادارسة بالممالك المجاورة...

بين المصمودي والطوسي

وبعد سفارة القاضي أبي بكر العربي الذي ربط الصلة قوية في الشرق بينه وبين الامام الغزالي الطوسي، بعدها تاتي صلة ثانية بالامام يكون لها أثر في تاريخ المغرب، تلك هي صلة ابن تومرت المصمودي بذلك الطوسي ... نحن نعلم أن ابن تومرت هذا لقى عددا من العلماء هناك، لكن أبرزهم تأثيرا فيه كان هو أبو حامد الغزالي الذى ألف بعض كتبه باللغة الفارسية مثل نصيحة الملوك، وأيها الولد. لقد رجع المصمودى آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، ولم يلبث أن أعلن الدعوة الموحدية المشتملة على مذهب الاشعرية ممزوجا بشيء من الشيعة كعصمة الامام. وقد خلف المصمودي تلميذه عبد المؤمن الذي نشر الدعوة الموحدية داخل المغرب وافريقية والاندلس، وكانت الرسائل والخطب الرسمية تستفتح بذكر «الامام المعصوم».

ابن بطوطة بين المغرب وايران

وان أشهر رحالة زار بلاد ايران كان هو الرحالة المغربي الطنجي الذى شاهد القسم الاعظم من ايران رؤيا عين، وتعتبر المعلومات التي قدمها عن بلاد فارس من أجمل وأمتع ما كتب عن تلك الديار، وسنظل نحن المغاربة كما سيظل اخواننا في ايران مدينين لابن بطوطة فيما قدمه الينا هذا الرحالة المغربي من معلومات عن مدينة اصبهان وشيراز ونيسابور وغيرها من أمهات المدن الايرانية على ذلك العهد، لقد اعطانا وصفا مدققا عن طبيعتها ومناخها، ومعالمها ومبانيها، وفواكهها وأعنابها، وعن كرم البلاد وشهامة أهلها.

وقد قدم ابن بطوطة وصفا للعاهل المغربي أنذاك عن الحالة العلمية بشيراز، فذكر أن النهضة الثقافية كانت تتجاوز الرجال الى النساء، وأنهن كن يجتمعن لتناول العلم والدرس كل يوم اثنين وخميس بالمسجد الاعظم، وربما اجتمع منهن الالف والالفان.

وكما عرف ابن بطوطة أهل المغرب بتلك البلاد وأمرائها كان أيضا يقوم بتقديم صور صادقة ومدققة عن بلاد المغرب، فكان بذلك مثل المغربي الوفي الذي لم تنسه الأوطان الأخرى وطنه الأصلي. لقد كانوا يسألونه عن بلاده فكان يتحرى الصدق فيما يقول، لايثنيه شيء عن الجهر بالحقائق. زار مدارس نيسابور العظيمة التي كانت تضم مئات الطلاب، وفي الوقت الذى أشاد بهذه المراكز العلمية بما نعرفه عنه لم يتردد في المقارنة بين هذه المدارس وبين مدارس مدينة فاس التي شيدها ملوك المغرب تعزيزا لجانب جامعة القرويين. وقد خص من هذه المدارس بالذكر مدرسة السلطان أبي عنان التي تعتبر قطعة فنية في مختلف جهاتها ...

خلع الرداء على الرحالة المغربي

وأكبر مأثرة يمكن أن تعتز بها الدولة المغربية أن رحالتنا هذا استطاع أن ينال اعجاب رجال العلم في اصبهان وتقديرهم، وهكذا فكما تمنح اليوم للعلماء الدكتورات الفخرية والالقاب العلمية من الجامعات والمجامع، فقد خلع الامام قطب الدين حسين بن شمس الدين كساءه الذي كان والده شمس الدين خلعه على الولد، خلع رداءه على ابن بطوطة .. وقد تم هذا في يوم مشهود هو يوم 14 جمادى الثانية 727 (7 مايه 1327). ولم يكن ذلك الرداء من نوع الملابس العادية ولكنه ظل يتوارث بطريق الخلع التشريفي عالما

عن عالم، كابرا عن كابر، حتى ابن سهل الصوفي والجنيد والحسن البصري الى الامام علي كرم الله وجهه. تلك منقبة في تاريخ العلاقات بين البلدين يجب أن تظل أمام أبصارنا كلما ذكرنا التاريخ...

المغرب وفنون ايران

وان هذا التجاوب الفكري بين الشرق والغرب كان ملاحظا أيضا في الآثار الفنية، ولهذا فاننا سنلاحظ في طائفة من المباني التاريخية بعض اللوحات الفنية التي تعيد الى الذهن أصول تلك الفنون، ونذكر على سبيل المثال لوحتين فنيتين رائعتين تسامت احداهما الاخرى على باب قاعة مدرسة العطارين بمدينة فاس، هذه المدرسة التى تعتبر في نظر المعماريين أعجوبة فاس «هي ولو انها تسبق في التاريخ مدرسة أبي عنان السالفة الذكر لكن اللوحتين المذكورتين تجعلانك تشعر كأنك أمام زرابي نسجت في مدينة قاشان ...

سفارة من بلاط قزوين الى بلاط مراكش

ولكن هل ان العلاقات بين فارس والمغرب وقفت عند حد الرحلات والزيارات ؟ لقد سجلت بداية القرن السابع عشر حركة دبلوماسية تحدثت عنها مصادر تاريخ المغرب.

ودعونا نتتبع قليلا سفارة السير انطوني شيرلى (A. Sherly) الى الديار المغربية، لقد كان الامر يتعلق كما نعرف بتحرك دولى

منطلقة في البداية من الشاه عباس الملقب بالكبير (1) في أعقاب ما كان يبلغه عن المراسلات المغربية التي كانت «تجامل» الباب العالي عندما تجيب على الرسائل التي تخبر بانتصاراته على الصفويين (2) ... ذلك المنطلق الذي لم يلبث أن تعزز ايضا بتكليف انطوني شيرلى من طرف ردولف الثاني امبراطور النمسا ثم بمهمة من لدن البابا كليمان الثانى لدى ملك المغرب، واخيرا بمحاولة تحقيق لمشروع كان يراود فيليب الثاني ملك اسبانيا من أجل كسر الحلف العثماني الفرنسي عام 1543 بين سليمان القانوني وبين فرانسوا الأول.

ان العجب ليأخذ منا مأخذه عندما نلاحظ الصمت المطلق في مصادر تاريخ الدول الواقعة على الخليج ومصادر تاريخ أوربا كذلك عن وصول السير شيرلي الى المملكة المغربية .. وانه لولا الافادات الجليلة التى ساقها المؤرخ الفرنسي دوكاستري في موسوعته «مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب» (3) لبقيت السفارة تحت الظلال تقتصر على بعض التقارير المودعة في الرفوف الأروبية ..

---

(1) لقب بالكبير واخلف محمد مرزا في الملك سنة 1585 ونودي به ملكا في خرسان ثم سار الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الاريك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة 1597 ثم حارب الترك واستخلص منهم الولايات التي سبق اخذها من مملكة العجم واحتل «مدائن» بغداد والموصل وديار بكر ثم اتحد مع شركة الهند الانكليزية وطرد البرتغال من ثغر هرمز. توفي سنة 1037 = 1628 بعد حكم دام ثلاثا واربعين سنة، امحمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية 1977 ص 119 ـ 120.

(2) كان من الرسائل الأولى التي أجاب بها ملوك الدولة السعدية عن خطابات الباب العالي رسالة طويلة لم يعثر على تاريخها بالضبط ولكنها كانت موجهة من السلطان احمد المنصور الى السلطان مراد خان، وهي من انشاء ابى فارس عبد العزيز الفشتالي : هذا وقد وفد على مقامنا خطابكم الخاقانى ... صحبة أرسال جنابكم السامي العثمانى ... بما سنى الله لمقامكم من الظهور على الفئة الصوفية (كذا) الخارجية الرافضة وتبديد مجموعها ...

عبد الله كنون : رسائل سعدية، معهد مولاي الحسن تطوان فارس 1954.

(3) De Castries : *Les Sources inédites de l'Histoire du Maroc*, *Hollande*, série 1, t. 1, p. 180, n. 2, p. 353, n. 1 ; *France*, série 1, t. 2, p. 330.

لقد كانت السفارة الفارسية الواقع برئاسة بيات حسين علي بك (Bayât - Hosayn - ᶜAli Bèg) وكـانت مهمـة شـيرلي تتلخص في أن يدل الشخصية الإيرانية على معالم الطريق ويقـدمـه الى الجهـات التي يـروح اليهـا ...

وهكذا فقد توصل شيرلي من الشاه بسائر الصلاحيات والسلطات التى تعطى عادة للسفراء وذلك فى قزوين مرجعه من حملة ضد أوزبيك واعتمد لـدى «أمراء المسيحيـة» يعنى البابـا، وامبراطـور المـانيـا وملكـة انجلترا وملك ايكـوص (Ecosse) واسبانيا وفرنسا وبولونيـا، ومجلس فينيسـا (Venise) .

وقد اشتملت رسالة الاعتماد هذه العبارات : «أيهـا الامراء الذين يؤمنون بالسيد المسيح اعلمو ان شيرلى عهد اليه بدعم الصداقة بينى وبينكم، ان هذه الرغبة كـانت تحدونا من زمـان ولكن احدا لم يتقدم للتدليل على الطريق وازالة الحجب التى تفصلنا بعضنا بعضا ... وانه عندما يصلكم شيرلي يا أمراء المسيحية، فان رجاءنـا أن تعتمدوه فى كل ما يطلبه اليكم او ينقله عن شخصنا ...

وهكذا يتجلى أن السفير الحقيقي للشاه كـان هو السـير شيرلي وليس حسين علي بك، وتجلى من خـلال التقـارير ان مشروع الشاه كـان موجها ضد «العدو المشترك» : الباب العـالي، وان المشروع قوبل بكل ترحاب من طرف ملـوك أوروبا الذين كـانوا يشعرون بالاخطـار التي تهددهم من طرف القسطنطينية العظمى (4) ...

---

(4) K. Bayani : *Les Relations de l'Iran avec l'Europe occidentale à l'époque safavide*, Paris, 1937, pp. 7, 8, 9, 11, 59.
د. التازي : سفـارة انطوني شرلي، مجلة (المناهل) يـوليوز 1977.

فهل كلف شيرلي بالوصول - بعد ان ودع الشاه في اصبهان .. - الى البلاط المغربي.

هذا هو السؤال الذي نحاول الاجابة عنه في هذه السطور ...

ان كل واحد سواء في أروبا أو آسيا بما فيها تركيا كان يعرف عن مركز المغرب ودوره في السياسة الدولية وخاصة مع الأتراك الذين لم يستطيعوا أن يخترقوا حدود المغرب بالرغم من كل مابذلوه ... فلماذا لا يفكر الشاة عباس الكبير - والأمر يهمه - : في أن يتصل ايضا بملك المغرب ؟ ولماذا لايوجه اليه برسالة اعتماد خاصة على أسلوب غير الأسلوب الذى خاطب به الشاه أمراء المسيحية ؟

لقد وقفت - بالصدفة - على حاشية صفحة لذ لكتاب السلطان زيدان بن المنصور ان يحرروا عليها رسالة منه الى «الولايات العامة» بتاريخ 21 يوليه 1609، وقفت على ما يفيد أن هناك مراسلات بين شاه الفرس وبين ملك المغرب وهكذا قرأت :

«الحمد لله وكفى كتاب كريم سلطاني شاهن شاهى، سلطان عرب وعجم ..... أحمد بن ابراهيم .. ديوان كريم (5) ...»

فهل الامر يتعلق برسالة اعتماد حملت من بلاط قزوين الى بلاط مراكش قبل التاريخ الذى توجه فيه زيدان برسالته الى «الولايات العامة» فيكون شيرلي مع رفيقه حسين على (6) قد وجها فعلا الى المغرب ؟

---

(5) De Castries : *S.I.H.M.*, *Hollande*, série 1, t. 1, p. 353, n. 1.

(6) تذكر المصادر التركية أن حسين على هذا تمسح هو وابن اخته عندما وصل الى اسبانيا وتزوج الأول هناك ... K. Bayani : *Relations de l'Iran*.

أم ان الأمر يتعلق بتكليف طارىء من أحد ملوك أروبا لشيرلي ؟ انهم كانوا يعلمون جيد العلم أن المغرب يظل «المفتاح» لقضية الاحتكاكات بين عثمانيا وبين دول أروبا، ولذلك فمن المحتمل جدا أن أحد اولئك الذين اعتمد لديهم أو بعضهم او هم جميعا رأوا ان في اتصال شيرلي بالمغرب ما يحقق أهدافهم البعيدة ...

على أن هناك احتمالا ثالثا ... وهو يتلخص في ان شيرلي أدرك بذكائه وهو يعبر دول أروبا أن حملته الدبلوماسية ستظل محكوما عليها بالفشل اذا لم يقم بزيارة جيران تركيا في المغرب حتى يحملهم على مناوشة هذا العدو الذى اقض مضاجع أروبا سيما وان هناك تشابها مطلقا بين الموقف فى ايران والموقف في المغرب حيال تركيا ...

مهما يكن فنحن امام رسالة حررت في مدينة مراكش بتاريخ 16 دجنبر 1605 من طرف كوى (Coy) الوزير الهولاندى المعتمد في البلاط المغربي :

إن مهمة شيرلي كانت تتركز على اقناع المغرب بمناهضة الاتراك وطردهم عن الشمال الافريقي ... وقد استنتج السفير الهولاندي من هذا أن المطلب لابد ان يجاب بالرفض من طرف العاهل المغربي الذي اعتاد على ان لا يحالف أحدا من المسيحيين ضد المسلمين .. اللهم اذا كان الامر يتعلق بدفاع عن كيانه ... ومع ذلك فقد كان يهدد ولا ينفذ ...

وهذه رسالة من الدبلوماسي الفرنسي الدكتور أرنول دوليسل (A. Delisle) الذي كان طبيبا للاسرة الملكية قال : انه علم بواسطة الاميرة المغربية لالة صفية أخت السلطان ابي فارس ان شيرلي (Sherly) ورد من طرف اسبانيا لتأليب العاهل المغربي ضد تركيا على امتداد الساحل الافريقي من جبل طارق الى تونس،

وإن ملك اسبانيا سيعد العاهل المغربي بمساعدته على هذه الحركـة على أن يتم الاتفـاق بعد النصر النهائي على توزيع الشمال الافريقي بين ملك المغرب وملك اسبانيا، فيصبح الساحل لملك اسبانيـا والداخل كله لملك المغـرب حتى تـونس ...

ويضيف التقرير الفرنسي بأن اسبانيا منذ أن ارتبط الاتـراك باتفاقيتهم مع فرنسا أخذت تخطط لهذا المشروع وانها من أجل تحقيقه عدلت عن وعدهـا بمناصرة ملك البرتغال في وقعة وادى المخـازن، وان هذا المخطط لم يمت بوفاة السلطـان المولى عبد الملك وجلوس أخيـه أحمد المنصور على العرش بل انها أي اسبانيا ما انفكت تستغل حوادث الحدود الشرقية مع اتـراك الجزائر لتجعل العاهل المغربي أكثر اقتناعا بقبـول الحلف المذكور، بيـد أن ملك المغرب يقـول التقرير الفرنسي ظـل يتملص من اتفـاق من هذا النوع ..!

ان المغرب غير متحمس للتحالف مع المسيحيين ضد الاتراك ولو انه بالمرصاد لهؤلاء عندما تحدثهم نفسهم بالتعدى على التـراب المغـربي، وقد كـان مما يشجع اسبانيا ـ يقول التقرير الفرنسي ـ على مفاتحـة المغرب حول هذا المخطط اقتناعه بالكره الذى يكنه أيضا سهل الجزائر وتونس للاتراك وميل السكان في المنطقة المذكورة لتكوين وحـدة ضـد الاتراك الذين ظلوا يعتبرون بعيدين عن المنطقة.

ويضيف التقرير الفرنسي ان نجـاح مثل هذا المشروع من شأنه أن يلحق ضربة قاسية بمصالح فرنسا بقدر ما هو في صالح اسبانيا سواء أيـام الحرب أو أيـام السلام، ويختم التقرير بذكـر انطباعات المبعوث الفرنسي على هذا النحو : «إنه حسب التجربة التي يتوفر علهيـا طيلة المدة التي قضاها بالمغرب لا يعتقد أن المسؤولين المغـاربة يخدعون أبدا لعروض اسبانيا التي تظل العدو المشترك لكلا الفريقـين ...

فاذا أخذنا كل ماذكر بعين الاعتبار ... فسيبقى أثر وفادة شيرلي من لدن الشاه عباس ملحوظا لانها ليست سفارة من جهة تخالف المغرب في معتقدها ولكنها من مسلم الى اخيه المسلم ومع ذلك فان المغرب كما رأينا كان يتحفظ ايضا ازاء كل الأحلاف التي تضر بالمسلمين بعضهم بعضا.

الموسيقى المغربية وبلاد فارس

وبالاضافة الى وسائل الترفيه الاخرى (7) فان لبعض المدن الفارسية ذكرا مستمرا في موسيقانا المغربية الاندلسية التي استأثرت بأصولها الأصيلة بلاد المغرب .. تتكون الموسيقى الاندلسية عندنا من احدى عشرة نوبة (مجموعة موسيقية)، في كل منها خمسة ميازين. تلك هي «الخمسة والخمسون». من تلك النوبات مجموعة تحمل الى الآن اسم اصبهان، وهذه النوبة استخرجها جابر بن صعد الاصبهاني، وبقيت معروفة باسم المدينة الايرانية الشهيرة في العهد الاسلامي بعلمائها وأدبائها الذين يعد من أشهرهم أبو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني. ونغمة هذه النوبة قال عنها الاستاذ الحايك في كتابه : «ان ملائكة الرحمن وحور الجنان يسبحون بنغمة اصبهان».

وهناك نوبة ثانية تحمل اسم «غريبة الحسين»، وقد كنت وقفت في مخطوط بخزانة المتحف العراقي تحت رقم 2276 لصفي الدين الارموي، على أن طبع غريب الحسين عجمي شاع في جميع الامم وان مخرجه هو غريب الفارسي، وقرأت كذلك ان هناك فنانا فارسيا آخر اسمه

(7) الاشارة مثلا الى هواية الصيد بالصقر التي تظل المفردات اللغوية المستعملة في علاج الصقر شاهدة على تاصل الهواية في الديار الفارسية. د. التازي : القنص بالصقر بين المغرب والمشرق .. البحث الذي قدم لمؤتمر البيزرة ابو ظبي، دجنبر 1976.

حسين هو الذى أسهم كذلك في استخراج طبع الحسين، فيكون الفنانان بنـاء على هذا : حسين، وغريب معا تضافرا على ابتكـار هذه النوبة، وقد قال في المخطوط المشار اليه ان نغمة غـريب الحسين نورانية تروق لهـا القلوب، وان «باب الجنة اذا فتح تسمـع لـه رنة كـرنة طبـع الحسين ولهذا يميلون اليه على الخصوص ليلـة الجمعة ويومهـا» ...

على أن هناك مجموعة موسيقية ثالثة هى عـراق العجم، وتـرى بعض المخطوطات القديمة أن صيكة بن تميـم هو الذى استخرجها وهي تترجم الاحاسيس المشبعة بالاسى والاسف، كما يقول الاستاذ الفـاسي.

وبهذه المناسبة أذكر أنني حرصت وأنـا مقيم في بغداد، قـريبـا من عراق العجم، حيث ولد هذا النغم، على أن أجد تفسيرا لمـا ذهب اليه الاستاذ المذكور، وأدركت بل واقتنعت بأن تلك المجموعة الموسيقية في أصلها كـانت قطعة رثـاء أهديت لروح الامـام الحسين بن علي الذي كـان مصرعه قريبا من تلك الديـار ...

وغير هذا فان الموسيقى الشعبية ـ وفيها موسيقى المواكب التـي يرددها الغياطون والطبالون هي ايضا متأثرة بالطبوع الفارسية (8).

جـامعـة القرويـين وايـران

واذا كنا نعرف أن مدينة فاس لم تؤسس الا لتكون «دار فقه وعلم» كما ورد على لسان مؤسسها الاول الامـام ادريس، فان الذى لا يغيب عن اذهاننا أن مركز الدراسة فيها وأعني به جامعة القرويـين، وكذلك المراكز العلمية الاخرى المنبثة باطراف المغـرب : مدينـة مـراكش،

(8) ابراهيم التادلي : اغـاني السيقـاء، مخطـوط بالخزانـة العـامة بالرباط رقـم 3285/د. التـازي : دور الطرق الصوفية في المحـافظة على التـراث المـوسيقـي العربي (البحث الذي القى في مهرجـان مدينة تستور التونسية في صيف 1978).

تطــوان، سلا، الربــاط ... أقــول كل تلك الفروع كبــيرها وصغيرها كــانت تعتمد في ابرز ما تعتمد عليه، على مواد لهــا صلة وثيقة بعلماء الشرق. فعند دراسة علــوم التفســير والحديث والاصــول والبلاغــة والنحو والادب والحساب والطب ... كــان العلمــاء والطلبة في المغرب يستعرضون تراجم وآثــار أعــلام من بــلاد فــارس نبغــوا في علــوم الشعر والنثر، وخدم بعضهم لغة القرآن وشريعته بنظرياتهم ونتــائج ابحاثهم ومؤلفاتهم، الجمة الفوائد، التي كــانت من المراجع المهمة فــي مسائلها العلمية، ومباحثها الفنية. ويستطيع المرء بسهولة أن يستعرض طــائفة من المؤلفات التي تعتبر مرجعــا لعلمائنا عبر التــاريخ، والتــي الفها باللسان العربي علمــاء أصلهم من الفرس نسبا أو بلدا. فالامام البخاري من سمرقند والامــام مسلم مــن نيسابور، وأبــو داود مــن سيجتان، والنسائي من خراسان، والترمذي ينتسب لمدينة فــارسيــة، وابن ماجة من قزوين، وسيبويه زعيم النحويــين من شيراز، وابن سينا تحتضنه همذان، والقاموس المشهور حرر بأقلام شيرازية ...

على أن الصلة العلمية لم تقف عند هذا الحد، ولكنها تجــاوزته ايضا الى محاولة تعلم لغة الفرس، فقد روى التاريخ ان ابن بطوطة كان يعرف الشيء الكثير عن لغة الفرس، وأن بعض علماء المغرب أخذوا عــن أبي حيان صاحب كتاب (منطق الخــرس في لسان الفــرس) كمــا أن الشيخ مرتضي شارح القاموس الذى كــان يعرف الفارسية لقي بمصر طائفة من أعلام المغرب فاخــذ عنهم وأخذوا عنه. وهذا الشيخ ابراهيم التادلي الذى قضى وقتا غــير قليل بالمشرق وبالذات في اسطامبول غير بعيد عن ايران، يقوم بوضع معجم للغة الفارسية التى كــان يعرفهــا على ما يوخذ من مخطوطته حول الموسيقى المغربية (9) ...

(9) المصدران الســابقــان.

المغـرب الحـاضر وآثـار ايـران

ولمـا كـان عهد السلطان المولى الحسن الاول يتجه الى تكوين جيل متطور واع عـامل ليخـرج بالبـلاد من النكسات التي ألمت بها، كان أول عمل استهل به أيام جلوسه على عرش اجداده الأشراف العلويين أن نظم البعثات الى الخارج، وحرص على الاستفادة من وسائل النشر الجديدة، ويسجل التاريخ أن أول ما أمـر بطبعـه مـن المخطوطـات النادرة القديمة كتاب تحرير أصول أوقليدس للرياضي الفلكـي المعروف ناصر الدين الطوسي. على أن مولانا الحسن الاول بالاضافة الى هـذا أضفى من تشجيعه على رجـال العلم واستطاع المغرب، انذاك أن يجد من الشيخ محمد بن علي الغزاوي الصانع الحـاذق لآلة أسطرلاب لـم يختلف في تخطيطه ونتائجه عن الاسطرلاب الذى صنعه احمد بن ابراهيم الاصبهاني .

***

وأبرز ما يشاهد اليوم وقد أحرز المغرب على استقلاله ان جامعة محمد الثالث (فـاس) وجـامعة محمد الخـامس (الربـاط) وجـامعة الحسن الثاني (البيضاء) كل منها تحتوي على كرسي للغة الفـارسية، وكرسي للادب التطبيقي تـدرس فيه الآداب الفارسية. على أن هنـاك كرسيا ثالثا يعنى بازدهار الاسلام في تلك الديار، هـذا الى جانب أن أعظم مستشفى في العاصمة يحمل اسم ابن سينا الهمذاني ...

كل ذلك كان برورا بذلك التاريخ المجيد الذى ربط بين البلدين الشقيقين حقبة من الزمن غـير قصيرة.

واذا كان أسلافنا قد وضعوا في اخلاص وصفاء الاسس السلمية للقائنا، فانه من واجب التاريخ علينا أن نعني بتلك الاسس ونتعهدها، وأن لا ندخر جهدا في سبيل دعم تلك الاواصر، وتقوية تلك الروابط، ان ذلك سوف لا يخدم فقط علاقة البلدين، ولكنه أيضا سيعزز علاقاتنا باشقائنا وأصدقائنا بعضهم بعضا في الشرق والغرب ...

إن وشائج القربى وأواصر الـدين التي تجمـع بـين الدولتـين المغربية والايرانية ظلت وستظل مهيمنة متحكمة على مـر العصور ... وإن تعهد تلك الوشائج والاخـلاص لتلك الأواصر ... سيبقى دينـا في أطواقنـا لا يصرفنا عنه، ولا ينسينـا إيـاه أي تـآمر وأي دس سـواء أكـان مصدره الغرب أو الشرق، وستبقى علاقاتنا ـ كشعب مسلم يؤمن برسالة السماء ـ جيدة مع الشعب الايراني الذي أسدى ويسدي العطاء الجـم لـلاسلام والمسلمين.

د. عبد الهادي التازي